

# افتح حديث وازمة كتدوق

بقلم عبد العزيز علوان



تمثال النصر وبجانبه الفنان محمود دعدوش

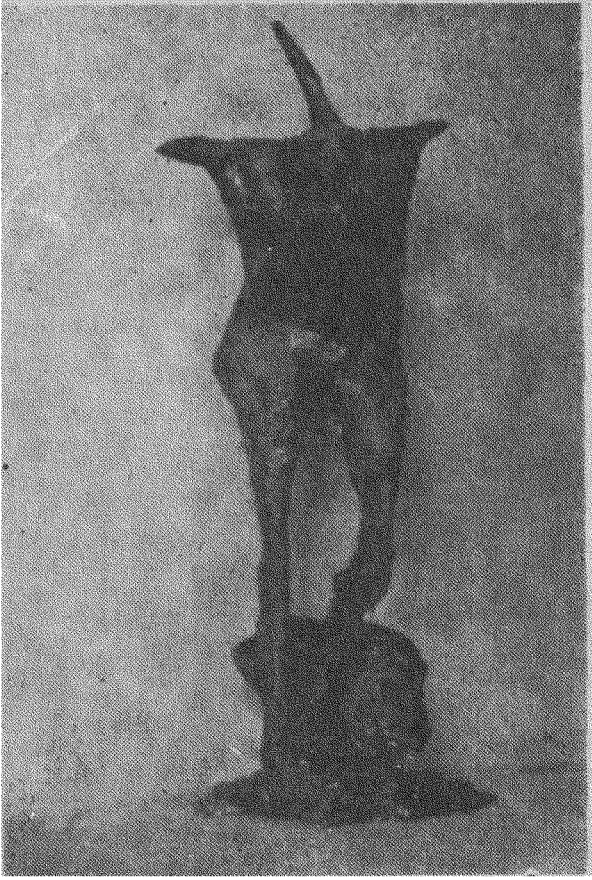
عالم معقول تحلق من حوله نفحة غرابية ، تعمق التفكير الفلسفي المتسائل ونغور الى كهف الجمال في داخلنا فنشر فيه رائحة اللون وعبق الخط وتوزع التعل والحركة على شكل لوحات نحار في فهمها وتمثيل نجلها ونرفضها ونتمهم صاحبها بالجنون والاسفاف حيننا وبالعبقرية والتفنن الرائع حيننا اخر .

قدم رواق الفن الحديث هذا العالم المعقول في معرضه الاول بين ٢٠ - ٣٠ من تشرين الاول الماضي على شكل لوحات وتمثيل لفنانين شابيين هما « جوليو بالوتسي » الايطالي و « محمود دعدوش » العربي ، وطرح مشاكل فنية كثيرة جديدة بالناقشه . وقد يكون لها من الاهمية مالهدا الرواق من اهمية في تاريخ الفن في الاقليم الشمالي باعتباره اول رواق في الاقليم واول مكان حر للعرض يقدم الفنان به انتاجه بعيدا عن الشكليات الرسمية الباردة وبعيدا عن المتحف المنزول الذي كان اجود وكان للعرض . مع ان المتحف بعيد عن الشوارع الرئيسية وقاعاته معدودة واشبه بمعالق الاطفال الصغار وتفتقد لكثير من وسائل العرض التي تؤهلها لتكون قاعات عرض فنية ، كتوزيع النور اللازم لكل لوحة ، والمقاعد المناسبة لمشاهدة العروض ، والديكورات اللازمة والموسيقى المطلوبة لخلق الجو المناسب . المهم انه قد افتتح هذا الرواق في الشارع الرئيسي وفتح باب العرض الحر على مصراعيه بديكورات الفنية التي قام بعملها الفنان المختص بالديكور من روما . هذه الديكورات الخداعة المبنية على شكل طيور خضر انيقة وجسدان مسحورة طول الطريق تنفث سحرا اشبه باشكال انسانية تحرر فينا همسا اشبه بنداء الجنس يقود الى المعرض . وضع هذا الرواق كثيرا من الاسئلة على الشفاه وثار ضجة كبيرة شملت كل الصحف السورية حول معروضاته وكتبت حوله تعليقات ثرية ومعربة واقامت الكثير من الندوات والمناقشات لفهم هذه العروض وتقييمها . ولا اريد هنا ان اكون امتدادا لهذه الضجة وانما بسودي ان اطرح مشكلتين اثيرتا من بين كثير من المشاكل الفنية التي نبه اليها هذا المعرض ، بالإضافة الى اعطاء لمحة عابرة عن الفنانين ومعرضاتهم .

المشكلة الاولى هي ازمة التعبير في الفن الحديث ، وقيمة هذا الفن الحديث بالنسبة للفن الكلاسي ، هل هو مارد عملاق انفلت من قمم القيود واعلى عرش التفكير الحر

وتبنى الانسان الفرد وراح يعبر عن اعماقه بهذه المدارس الكثيرة التي طلعت علينا في المئة سنة الاخيرة او ان الفن الحديث طفل مقعد مايزال قابعا في حضن الفن الكلاسي يخبيء وجهه بين يديه ؟ هل هو امتداد وهرب في نفس الوقت من الفن الكلاسي الصحيح ؟

هذه هي المشكلة الاولى في خطوطها الاولى وارى انها مشكلة يتوقف على حلها منح الفنان المنتج ثقة وايمانا بنفسه وقيمة مايعمل . فالفنان المنتج ليس فقط في الاقليم الشمالي او بقية البلاد العربية وانما في كل مكان من العالم الواسع مايزال يعاني ازمة شكل التعبير عن نفسه بجره الى الكلاسيك خلوده وعظمته ويبعده السى الحديث انه شكل يغور الى ذاته هو فينضح تصوراته



تمثال راس الملك لجوليو بالوتسي

العميقة ويخلد اللحظات الانسانية في تزددها وجمال قباحتها وعفويتها . واكثر من هذا فهذه المشكلة قد تجرنا الى شكل الصورة المرتبطة بالفكر هل هي صورة منظور عادي في حدوده الطبيعية او هي رموز صورة منظور موهوم ، واقعي في حدود الخط واللون المتخيلين على سطح اللوحة . ثم هل طريقة التعبير عن الفن المجرد والفن الواقعي هما شكلان متلاحقان من الناحية الزمنية او انهما شكلان منفصلان من اشكال التعبير لدى الفكر الحر . وما معنى ان نجد لدى القبائل الافريقية البدائية فنا مجردا ؟! والمشكلة الثانية هي مشكلة ذوق جماهيرنا ومتطلباتها وازمة التذوق في الصورة عامة والفن المجرد بصورة خاصة . فقد كنا نرى الاف العيون المحدقة بالمعروضات الفنية بلاهة . وتدلل ملاحظات المتفرجين في سجل المعرض على جهل فاضح بالثقافة الفنية - هذه المشكلة دعت بعض المتشائمين الى المطالبة بايقاف المعارض الحديثة للعمل اولا على تثقيف الجماهير بالمعارض الكلاسيكية . وانا وان كنت قانعا معهم ان المعارض الكلاسيكية منتجة الا انني ارى انها وحدها لا تحل المشكلة لان جماهيرنا لا تجد تذوق كلا النوعين وتاريخ فن الرسم والنحت جد قريب في بلدنا .

هاتان المشكلتان يطلعان علينا في كل معرض فني يقام في الاقاليم والاسهام في حلها يعني فتح الاف العيون العمياء المحرومة من لذة الابصار الفني وكشف دنيا من



كاباريه رقم (1) لجوليو بالوتسي

الالوان وعالم من الخطوط والكتل والحركات التي تفجر الجمال في اعماقنا ، اذ اني كبير ان يسهم اكثر المفكرين في اعطاء ارانهم وان يتحمل المثقف العربي مسؤولياته في بناء صرح الحضارة .

ولاعد الان الى الفنانين المعارضين لاناقتس اعمالهما وسأحاول جهدي الا اقدم احكاما لان ربيع انتاجهما ما يزال في آذاره ، وهذا هو اول معرض لهما في دمشق بعد ان اشتركا بعدد من المعارض في اوربا اثناء دراستهما هناك . وقد قدم « جوليو بالوتسي » ثلاثة اشكال من اللوحات . الاول تبنيه خطوط نزقة وانسجام لوني قائم على مشتقات الاخضر « كاباريه - كاباريه - وتشكيل . آ.ب » او مشتقات الازرق مثل « دمشق في الليل - امرأة انكاجيه » وحاول الفنان في هذه اللوحات ان يعبر عن رايه في الناس ، ففي كاباريه رقم واحد نرى الراقصة تقف في الوسط على شكل هيكل عظمي لمسيح مصلوب وتوجه اليها انوف مثلثة تريد لو تنهشها وتمزقها ، وفي لوحات هذا النوع اقتراب كبير من عين « دوهي » الباحثة عن اللذة الخالصة في تعبير اللون .

والنوع الثاني يشمل لوحات مبنية بناء تكعيبيا على

خطوط مستقيمة ومساحات ملونة باهتة اشبه بالحقيقة العلمية التي تدعي معرفة كل شيء ولا تدرك شيئاً . ففي « طريق المستقبل » حاول الفنان في رسم متاهة برتقالية بين مساحات زرقاء جارحة ان يعطينا تنبؤاً عن مصير الانسان . ويدخل ضمن هذه الزمرة عدد من اللوحات التي قام فيها الرسام بدور فيلسوف طبيعي « خليفة الارض وخلق الانسان » الا انه كان يضيع احيانا ويقصر عن تعميق التجربة الانسانية ليسند الفرضية الفلسفية وتبقى اللوحة مجرد لعب وبهوانية خطوط والوان .

اما النوع الثالث فهو تطوير للنوع الاول فقد طور الفنان الانسان الى خطوط سطحية واقعة فوق طبقات كثيرة من الالوان الزيتية وقدم الشكل الانساني بأقل ما يمكن من الخطوط وابتعد كل البعد عن تصوير ملامح فرد معين . واحسن مثل على هذا النوع « العائلة البدائية » وهذا النوع هو الطريق الجديد « لجوليو بالوتسي » بعد ان شعر بخيبة في البحث عن اصول علمية تسند التفكير والمعتقدات . ان هذا النوع من الرسم قريب من غموض الانسان ومن فلسفة الحياة .

وقدم « بالوتسي » خمسة اعمال في ميدان النحت ، ومهما قيل في قيمة بعضها وقدرته الا انها تظل اقل امكانية من لوحاته وأجملها تمثال رأس الملك وحلبى .

والغريب في اعمال « جوليو » انه لم يتأثر بالالوان الشرقية وما يزال يستعمل الالوان الهادئة الغريبة مع انه رسم كل لوحاته في صيف دمشق ويعمل الفنان السبب فيقول انه قد تأثر بالشخصية العربية والنفسية العربية التي كانت تشغله منذ وصوله ونسي اللون واختلاف توزيع النور الجديد وانه مخلص للالوان الحلوة الهادئة التي اطلع بها منذ زار اليونان قبل سنوات .

اما صديقه « محمود دعدوش » الذي هام مع التجريد الحر يصب الالوان على اللوحات صبا ثم يحرق هذه الالوان ويقوم بسلسلة من العمليات الكيماوية العجيبة التي قد تؤدي احيانا الى حرق اللوحة او ثقبها ولكن المهم في هذه اللوحات ان تتحول عند الانتهاء الى جزء من الفنان وتخلد لحظة نفسية عارمة الانفعالات واشبه بوثيقة تحكي الكثير والكثير عن صاحبها . ومحمود فنان يفتح عينيه على الوان قاسية فلا نجد عنده غير الاسود والاحمر والاصفر . هذه هي الالوان الوحيدة التي يستعملها هو ، ثم تأتي النار فتحيل الالوان المحدودة العدد الى بقع عجيبة غريبة الالوان . « تدفق - ثورة - ريم - ماري » ويعتمد محمود على الجنس كمنبع خصب لفنه فالعري وصرخة الجسد والخطيئة كلها من مواضيعه الفنية التي يبدع احيانا في تصويرها .

ولقد ثارت ضجة حول الفنان واضطرته وزارة الثقافة والارشاد الى سحب لوحة « خطيئة » من المعرض باعتبار

انها تصور تجربة جنسية من قريب وتتحدى ذوق الناس المحافظ الذي ينظر الى الجنس بتخوف وحرمانية . وجرت محمود جرائه في الرسم ورغبته في التجديد الى تقديم لوحات اشبه بسكتشات بسيطة تعتمد على لونين فقط ولكنه لم ينس ان يحملها انفعالات نفسية غنية مثل « لوحة عارية - آدم وحواء » .

وفي النحت جرب الفنان ان لا يعتمد على الفراغات وتوازن التمثال فقط وانما حاول ان يقدم فكرة الغفران بطريقة تعبيرية « تمثال غفران » كما حاول ان يحاكي بعض الاعمال المشهورة في تاريخ النحت مثل تمثال « نصر ساموتريس » وان يستفيد من الحركة التي بنى عليها التمثال القديم ولكن على ان يبقى محافظا على طريقته الخاصة .

هذان هما الفنانان الشابان في بحثهما لتلقف شيء جديد مع مراعاة الفن الاصيل وأرى ان « جوليو » بدأ يتضح ويفتح عالمه الداخلي ويكشف نظرياته الفنية بينما ما يزال محمود يعاني من تجاربه النفسية الكثير . ويترك شخصيته الفنية لصدف الحياة النفسية وتعقيداتنا . ومستقبل فنه موقوف على مستقبل الصراع الداخلي بين محمود الفنان الجريء ومحمود النفس الانسانية المتحركة .

عبد العزيز علون

دمشق

صدر حديثا :

## رسائل مؤرقة

أحدث ديوان

للشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

منشورات دار الاداب